"أحلام معلقة" ٢٤ عاماً مرت على "تعليق" عرضه تلفزيونياً

هل تذكرون الفيلم اللبناني "أحلام معلّقة"*؟ هل تعلمون أنه لم يعرض بتاتاً، ابداً وإطلاقاً على محطات التلفزة المحلّية؟ عندما اخبرتني المخرجة مي مصري، التي تشاركت في إخراجه مع شريك حياتها جان شمعون، بأنه لم يعرض ولا لمرة واحدة على الشاشات اللبنانية، أي منذ أكثر من ٢٤ عاماً، صُدمت بالخبر، كما إزاء كل شيء في هذا البلد "اللا معلّق ولا مطلّق"! لم يرغب احد في عرضه على التلفزيونات! وهذا الفيلم للذين لم تتنس لهم فرصة مشاهدته، يركّز على ما خلّفته الحرب التي دامت ١٦ عاماً، من قضايا عالقة. من بينها "جبال وشواطىء المزابل" والنفايات السامة التي دفنت في شننعير. إنه الفيلم الذي نقل أيضاً معاناة أهالي المخطوفين وعبثية التقاتل. وهي مواضيع لم يرغب أحد في مناقشتها حينها. كان زمن الترويج تلفزيونياً للعفو العام ودمج الميليشيات بالدولة، كان زمن الترويج لطمس حقنا في معرفة مصير من فُقد؛ وما حلّ بنا كشعب أعزل. فيلم يدعو الى الاهتمام "بإعادة اعمار" الانسان قبل الحجر او اقله يدعو لـ"إعمارٍ متوازن". أصبح هذا الفيلم اليوم، ذو قيمة أعلى، وعرضه في هذه المرحلة مناسب أكثر من أي وقت مضى، وملّحةٌ مناقشته. ولمن لم يسمع بهذا الفيلم، فهو الأكثر من واقعي؛ إذ يذكّرنا بواجب التأمل في تاريخ المصائب البشرية والبيئية التي أُلحِقت بنا من جراء "زعران الحرب" من كافة الأطياف؛ والتي كان علينا مواجهتها بحزم أكبر في ذلك الزمان. فعلى ما اعتقد أن من بدأ بتسويق فكرة ترحيل النفايات كان من زمرة مشابهة للتي دفنت البراميل الزرقاء في شننعير. النفايات التى "استوردناها" رغماً عنا، لأننا عالمٌ ثالث. ولكن، كما ملف الكهرباء كذلك النفايات. ماطل، "هشّل"، هدد، إملء شاشات التلفزة بكل ما هو سطحي، خاوٍ، مرقّه، مرر الوقت بتعليقات وتحليلات مجترّة من الأفواه والوجوه عينها، بأسلوب الـ"كوبي بايست" (انسخ وألصق)الرائد السائد من تلفزيون الى آخر. فيلم مصري وشمعون كان أول فيلم وثّق سينمائياً لمشكلة النفايات والأول أيضاً الذي تناول قضية المخطوفين والمفقودين في لبنان. فأثبت بذلك أن كل القضايا المحقّة والمطالبة بحلول لها، مترابطة

حتى اليوم، رغم مرور أكثر من عقدين من الزمن. ففي الفيلم تزور وداد حلواني (رئيسة جمعية أهالي المفقودين والمخطوفين) صيادين يشكون لها اسماكهم النافقة بسبب "مرفأ النفايات". وها هي حلواني اليوم تشارك في الحراك المدني، لإيجاد حل لمشكلة المكبات العشوائية المهولة. فيلم من نوع "الواجب الوطني" مشاهدته. من نوعية الأفلام التي يجب أن تدرج في مناهج التعليم والتربية المدنية. خلاله يحدّثنا الممثل رفيق علي أحمد عن الهجمة الاعلانية على جوانب الطرقات وعن بعبع المجتمع الاستهلاكي الموجّه ضدنا، الظاهرة جلياً نتائجه الكارثية على مجتمعنا اليوم. الفيلم كان من ضمن ٦أفلام اعدّت بطلب من بي. بي. سي. بمناسبة قمة الأرض في ريو ديجانيرو من أجل البيئة عام ١٩٩٢ولا تزال مواضيعه الى اليوم، تعنينا بشكل اساسي. فعلى من يرغب في فَهمٍ أعمق لمشكلات البلد وخاصة النفايات أن يعود لمشاهدته. عرض في أكثر من مئة محطة تلفزيون عالمية. ترجم الى كل لغات العالم وربح جوائز؛ فلما لا تتسع شاشة التلفزيون اليوم الى هذه النوعية من الأعمال؟ لما القبول بـ"تلفزيونات الكسل" بإمتياز؟ لما يطيب لهم دعوة ضيف مكرر التحليلات يتجول من محطة الى أخرى، في حين تشحّ التحقيقات الاستقصائية، ومجهود المناظرات العميقة التي تلي أفلام الكتّاب؟ بالطبع، ما من أحد لا يصبو هذه الأيام الى الفرفشة بسبب ما يحيط بنا من توتّر، ولكن على التلفزيونات أقلّه العودة ولو لبرهة الى تثقيف المشاهدين الجدد، الشباب، والكفّ عن الكسل! فهل من ينتج برنامجاً ذو معنى يفيد في وقف تعليق أحلامنا بوطن نظيف؟

مي اليان رزق

*عرض الفيلم بمبادرة من "نادي لكل الناس" ضمن مهرجان"س- أو- س آرت لبنان" يوم السبت الفائت في قصر الأونيسكو، والذي يستمر لغاية الخميس المقبل.